مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 21 / العدد: 01 / السنة: 2022 ص ص: 141-157

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والقضية الفلسطينية 1931/1939م

Association of Algerian Muslim Scholars and the Palestinian Question 1931/1939 AD

حمودى ابرير

جامعة الحاج لخضر باتنة1، (الجزائر)، hamidibrir@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/08/19 **تاريخ القبول:** 2022/03/04 **تاريخ النشر:** 2022/03/30

ملخص:

ظلت مأساة الشعب الفلسطيني المشرد، مأساة حرية في كل مكان منذ نهاية القرن الـ19، فتصدرت واجهة الأحداث السياسية العربية والعالمية منذ نحو قرن وربع، وكما وقف أحرار العالم والشعوب المحبة للسلام متضامنين مع حقوق هذا الشعب، وقف الجزائريون على اختلاف فئاتهم مواقف ثابتة من قضيته وتطوراتها طوال القرن الـ 20 وحتى الآن، وليس من المبالغة القول أن مواقف "جمعية العلماء المسلمين" التي تبنت فكرة الإصلاح وإحياء الهوية الوطنية، بمقاومة سياسات الدمج الاستعمارية ورفض محاولات سلخ الجزائر من محيطها العربي والإسلامي كانت ابرز تلك المواقف، فالخلفية الفكرية والدينية للتيار أسهمت بشكل قاطع في تلك المواقف التي أخذت طابع النصرة والدعم للفلسطينيين بكل الوسائل، معنويا وروحيا، سياسيا ودبلوماسيا، ماديا وحتى عسكريا – الجهاد – فلم ينقطع اتصال رجال الجمعية وشيوخها بفلسطين أرضا وشعبا منذ تأسيس التيار حتى عام 1939م وما بعده، مسجلين مواقفهم الداعمة من كل أحداث القضية وتطوراتها .

الكلمات المفتاحية: جمعية العلماء؛ المواقف؛ الصهيونية؛ الجهاد؛ القضية الفلسطينية.

Abstract:

The tragedy of the homeless Palestinian people, still persists as a tragedy of freedom, since the end of the 19th century. It has remained at the forefront of Arab and international political events for almost a century and a quarter, and just as the world's liberals and peace-loving peoples stood in solidarity with the rights of this people, Algerians of different tendencies have stood firm in its cause, and its developments throughout the 20th century to the present. It cannot be exaggerated to say that the positions of the Association of Muslim Ulemas, which adopted the idea of reform and revival of national identity, resisting colonial integration policies and rejecting attempts to separate Algeria from its Arab and Islamic environment were the most important of these positions.

As the intellectual and religious context of the current association contributed categorically to these attitudes that have taken the character of supporting the Palestinians by all means, morally, spiritually, politically, diplomatically, and financially and even militarily (jihad). The association's men and sheikhs did not cut off contact with Palestine, land and people, since the establishment of the movement until 1939 AD and beyond, recording their supportive positions on all the events and developments of the .

Keywords: Association of Scholars; attitudes; Zionism; jihad; the Palestinian cause.

مقدمة:

لم تشغل قضية بال المسلمين كما شغلته قضية فلسطين، فبالإضافة إلى بعدها السياسي والإنساني، فهي قضية دينية مقدسة لهم، ففي فلسطين المسجد الأقصى الذي هو ثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، وفيها أول قبلة للمسلمين، وإليها كان مسرى الرسول –صلى الله عليه وسلم – ومنها كان معراجه، فهي أرض الأنبياء والمقدسات، لذلك ارتبط بها الجزائريون — كغيرهم من المسلمين – ارتباطا روحيا عميقا، فظلت تترسخ في ضميرهم منذ الفتح الإسلامي، فكان لهم وللمغاربة عموما نصيبا كبيرا في الدفاع عنها وعن بيت المقدس، فقد شارك الجزائريون في جيش صلاح الدين الأيوبي، ومن قبله في جيش نور الدين زنكي، في حروبهما ضد الصليبيين لتحرير بيت المقدس.

ومنذ ظهور أطماع الحركة الصهيونية فيها نهاية القرن التاسع عشر، وتحالفها مع قوي الاستعمار التي قسمت البلاد العربية بما فيها بلاد الشام وفلسطين في اتفاقيتي سايكس– بيكو سنة 1916م، واستصدار وعد بلفور عام1917م، الذي تلاه فرض الانتداب على بلاد المشرق العربي بمقتضي اتفاقية "سان ريمو" عام 1920م، تحولت فلسطين إلى قبلة لهجرة اليهود ومخططاتهم، ظل الجزائريون وهم تحت نير الاحتلال يتابعون تطورات القضية الفلسطينية ويسجلون مواقفهم منها بل وحضورهم، فقد شارك المهاجرون الجزائريون في بلاد المشرق الفلسطينيين في الدفاع عن المسجد الأقصى في أحداث حائط البراق عام 1929م، كما شاركوهم بالسلاح والمقاتلين جنبا إلى جنب مع إخوانهم في أحداث الثورة الفلسطينية الكبرى بين 1936و 1939م، وفي حرب 1948م فيما بعد، فسقط منهم عشرات الشهداء.

وقد كان علماء الجزائر وأعلامها أكثر الفئات التي تابعت الهجمة الصهيونية علي فلسطين منذ ظهور عوارضها الأولى، منبهين مبكرا إلى أطماعها، فسخروا أقلامهم وجندوا أنفسهم للدفاع عنها، وسعوا بكل الوسائل إلى تعميق صلة الجزائريين بالقدس والمسجد الأقصى، رافضين مؤامرات تقسيم فلسطين قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، وداعين إلى الجهاد في سبيلها بكل الوسائل.

في هذا المقال سنحاول تحديد طبيعة مواقف "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" باعتبارها تيارا للدعوة والإصلاح في الجزائر، من أحداث القضية الفلسطينية، وتطوراتها منذ تأسيسها عام 1931م حتى عام 1939م، ومدي ارتباط هذه المواقف بالخلفية الفكرية والدينية للتيار؟ كإشكالية رئيسة، وانعكاس تلك المواقف على نوع، وطرق الدعم الذي قدمه "الاصلاحيون" الجزائريون للقضية، رغم وقوعهم تحت طائلة قوانين الاحتلال؟ ورد فعل الفلسطينيين على ذلك؟ وذلك وفق منهج تاريخي مبسط .

تأسيس التيار الإصلاحي و"خلفياته الفكرية"

لم يكن ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من ماي عام 1931م بنادي الترقي في الجزائر العاصمة، بعد نحو سنة من إحياء الفرنسيين ذكرى مضي قرن على احتلالهم للجزائر، في حقيقته سوى امتداد للحركة الإصلاحية التي قادها الشيخ عبد الحميد ابن باديس منذ العقد الثاني من القرن الماضي، إذ تعود اللبنة الأولى لتأسيس هذه الجمعية إلى سنة 1913 عندما كان بن باديس مقيما بالمدينة المنورة مع العلامة محمد البشير الإبراهيمي، أين تباحثا سبل تغيير الوضع المتردي في الجزائر والنهوض بها (**بن رحال،2009،ص67**)، فعزما على تأسيس جمعية تضم العلماء وترعى النهضة الثقافية والدينية في الجزائر ، وما لبثت الفكرة أن توسعت لتشمل الطيب العقبي والعربي التبسي، ومبارك الميلي، وبضعا وسبعون عالما من علماء الجزائر(**الحسن فضلاء،2010،ص24**)، فكان تأسيسها بمثابة واحدا من أهم مشاعل النور التي أضاءت الطريق أمام الشعب الجزائر للتحرر من نير الاحتلال الفرنسي، واسترداد هويته .

وقد كان لتلك الجمعية التي قادها ابن باديس بنفسه، ورفيق دربه البشير الإبراهيمي وثلة من رفاقهما، والتي حملت على عاتقها لواء الإصلاح في الجزائر، جذورا وروافد وثيقة الصلة

بمؤثرات حركة التجديد الإسلامي التي بدأها في الشرق الإسلامي عدد من رواد الإصلاح النهضوي العرب والمسلمين يتقدمهم محمد بن عبد الوهاب، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبد الرحمن الكواكبي(**البصائر،1935،ع1**) ، وعبد الله النديم، وأحمد خان، والمودودي ورشيد رضا، وطاهر الجزائري ومحمد شكري الألوسي ومحمد مصطفى المراعون ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم(الطاهر فضلاء،1981،ص81)، ولم يكن جامع الزيتونة في تونس، سوى معبرا لتلك التيارات والمؤثرات الإصلاحية المشرقية إلى بلاد المغرب الكبير .

ولذلك يتفق كثير من الباحثين والمؤرخين أن منهج ابن باديس في الإصلاح ما هو إلا امتداد لحركة هؤلاء المصلحين، إذ يرون أنه تأثر في شبابه بالحركة السلفية ومدرسة محمد عبده بشكل خاص(**عومر،2001،ص43**)، وقد سمحت له جولاته في بلاد المشرق خاصة تلك التي قادته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج عام 1913م بالتقائه عدد من هؤلاء منهم، وحتى أستاذه حمدان لونيسي، كما سمحت له بالتعرف للمرة الأولى إلى رفيق دربه الشيخ بشير الإبراهيمي الذي كان يجوب المنطقة، حيث استقر في عدة مدن سورية منذ أواخر الحرب العالمية الأولى، وكان عضوا في المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد، فتأثر بدوره بحركة الإصلاح السلفية الداعية إلى استلهام منابع الإسلام الأصلية(**محمد مقبل،دس،ص6**)، فكانت لظاهرة هجرة العلماء والجزائريين عموما إلى منطقة المشرق واحتكاكهم بدعاة ورواد الحركات الإصلاحية والمصلحين دور في صقل عقيدة العلماء الجزائريين" الدعوية والإصلاحية"، فجاءت دعوة ابن باديس دعوة دينية سلفية خالصة تستمد أفكارها وروحها من فكر الشيخ "محمد عبده"، متميزة بالانفتاح والتجديد، وتجافت الجمود والانغلاق، مقاومة لسياسة فرنسة الجزائر أو دمجها، وساعية إلى الحفاظ على الصبغة العربية الإسلامية لها، وهي دعوة وفكر شاركه فيه جل رفاقه في التيار الإصلاحي الوطني .

وبالإضافة إلى المؤثر الفكري لتيار الإصلاحيين العرب والمسلمين، كانت لفكرة الجامعة الإسلامية التي تزعمها جمال الدين الأفغاني، والتي كان ظهوره ناتجا عن عجز "... الدول الإسلامية عن رد الغزو العسكري والثقافي ... وتيقن عدد من المفكرين المسلمين أن النضال المحلي في كل قطر إسلامي ضد الغرب لن تكون له جدوى ..."، إلا إذا تم في شكل جماعي منسق.. حضورها في صقل عقيدة العلماء الجزائريين "السياسية" بعد أن تبناها الشيخ ابن باديس ورفاقه، ففكرة الجامعة" ... أحيت الشعور بالوحدة والتضامن، وكانت بأفكارها مصدرا لعدد من الحركات الدينية

والسياسية التي ظهرت في القرن العشرين"(**قنانش،دس،ص13،14**)، وقد أدي ترسخ عقيدة التضامن العربي الإسلامي وتحولها إلى قناعة لدى الإصلاحيين الجزائريين إلى اصطدامهم بالفكر الاستعماري وأنصار الفكر التغريبي الذي سعت سلطات الاحتلال إلى تكريسه طوال عقود من الاحتلال .

وقد انعكست طبيعة هذا التكوين في طبيعة أهداف وبرامج جمعية العلماء المسلمين ومواقفها من القضايا الوطنية وقضايا الأمة في العالمين العربي والإسلامي، فقد حددت أبرز أهدافها في السعي إلى الحفاظ على الشخصية الإسلامية الجزائرية والاتجاه العربي الإسلامي في الجزائر (**فضيل، رمضان،2010، ص125،124**)، من خلال المطالبة بإرجاع المساجد المحولة إلى كنائس أو متاحف، وتحرير الأوقاف الإسلامية من السيطرة الأجنبية، وتمكينها من تأدية الدور الاجتماعي والثقافي في الذي وجدت لأجله، والسعي إلى تحرير القضاء وإعادة ربطه بالشريعة الإسلامية (**الزبيري،1999،ص204،203**)، ومقاومة نشاط رجال التبشير المسيحي، وأصحاب الطرق من مشايخ الصوفية الجزائريين الذين كانوا سندا للفرنسيين.

كما سعت الجمعية إلى إحياء اللغة العربية في الجزائر والاهتمام بتعليمها تماهيا مع هدفها في توجيه الشعب الجزائري توجيها عربيا يتناقض مع سياسة الفرنسة والإدماج التي كرسها المحتل (**تركي،1988، ص94،93**)، فسعت بشتى الوسائل لحمل الإدارة الاستعمارية على إلغاء القرارات التعسفية التي ظلت تعرقل التعليم العربي في الجزائر (**الزبيري،1999، ص204،203**)، وسخر أبرز أعضائها من أمثال ابن باديس والإبراهيمي والعقبي وتوفيق المدني.. أنفسهم للعمل على أحياء الثقافة العربية الإسلامية، وتأسيس المدارس القرآنية والكشافة الإسلامية لتخريج جيل جديد(**حاج حفصي، 2010، ص65**)، يؤمن بشخصيته الجزائريين الأصلية.

موقف جمعية العلماء ورجالاتها من أحداث القضية الفلسطينية حتى عام 1939م

برزت مواقف هذا التيار من القضية الفلسطينية من خلال مواقف بعض رجاله حتى قبل تبلوره على شكل تنظيم دعوى إصلاحي، فبالإضافة إلى كون بعضهم من تلاميذه محمد عبده، فقد تأثر أغلبهم بالأمير شكيب أرسلنا سياسيا وثقافيا بحكم اتصالاته بالشخصيات الوطنية عموما، وزعماء الإصلاح الوطني الديني خصوصا، فكانت البداية مع الشيخ الطيب العقبي، ثم مع أحمد توفيق المدني منذ سنة 1928م، كما كانت له مراسلات مع الشيخ ابن باديس والسعيد

الزاهري، وقد أكدت الأجهزة الأمنية الفرنسية أن أفكاره بدأت في التسرب إلى الجزائر منذ 1935م(**صاري، 2000، ص133**)، كما كانت لهؤلاء أيضا اتصالات مع الحاج أمين الحسيني، وشاركوا في المؤتمر الإسلامي العام الذي دعا إليه والذي أنعقد بالقدس في ديسمبر من سنة 1931م بعد أحداث حائط البراق عام 1929م، وقد أسهمت كل هذه الاتصالات في توثيق صلاتهم وتوطيدها بالقضية الفلسطينية منذ بداياتها الأولى، ولذلك كانت مواقف هذا التيار من أحداث فلسطين أكثر بروزا ووضوحا من مواقف جل تيارات الحركة الوطنية الجزائرية الأخرى، وقد عكستها مواقف شيوخ ورجال جمعية العلماء، والمقالات التي كانت تتصدر جرائدها بشكل مستمر، ومن خلال أنشطة الدعم المختلفة لصالح الشعب الفلسطيني.

المبحث الاول: موقف شيوخ الجمعية

أولى أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورجالاتها اهتماما كبيرا بالقضية الفلسطينية وما كانت تعرفه من تطورات طيلة ثلاثينات القرن الماضي، فقد كانت من المسائل الرئيسة التي شغلت بالهم باستمرار، ولأنها كثيرة بحكم جسامة القضية وخطورة أحداثها وتطوراتها، واهتمام كل شيوخها وتعلقهم بها، فالمقال لا يسعها وسنركز على مواقف رئيسا الجمعية الشيخان ابن باديس والبشير الإبراهيمي.

المطلب الأول: موقف الشيخ ابن باديس

رغم أنه لم يعايش كل أطوار القضية وتداعياتها، ولم يشهد كل ويلات التقتيل المسلطة على الفلسطينيين من قبل عصابات الصهاينة – توفي في 16 افريل 1940م – إلا أن الإمام عبد الحميد ابن باديس انتبه لأهمية فلسطين وخطورة أطماع اليهود فيها منذ ظهور الحركة الصهيونية في نهاية القرن الـ 19، فقد رفع صوته عاليا بالاحتجاج منذ أوائل الثلاثينات من القرن الماضي، حيث وجه في نوفمبر 1933م احتجاجا إلى وزارة الخارجية الفرنسية مستنكرا الحوادث الدامية الواقعة بفلسطين، ثم أعقبه ببرقية تألم إلى مفتي القدس، وبعد ظهور مشروع التقسيم البريطاني الأول عام 1937م، رفع احتجاجا شديدا باسم الأمة الإسلامية الجزائرية ضده إلى وزير الخارجية الفرنسية، معتبرا المشروع ضربة قاضية لحياة شعب ضعيف دافع طيلة سنين دفاع الأبطال عن شرفه وحريته، واعتداء شنيعا على جميع الشعوب العربية الإسلامية، وانتهاكا لحرمة الأماكن المقدسة عند سائر المسلمين، وتمنى تدخل الحكومة الفرنسية بكل سرعة لمنع هذا التقسيم (**حداد،2016**).

ولم يترك الشيخ ابن باديس أي فرصة كعادة العلماء دون أن يجتهد في وضع الجزائريين والمسلمين أمام مأساة القضية، فقد كتب مدينا العلاقة التي تربط بريطانيا الاستعمارية بالصهيونية العالمية قائلا : "تزاوج الاستعمار الإنجليزي الغاشم بالصهيونية الشرهة، فأنجبا لقسم كبير من اليهود الطمع الأعمى وقذف بهم على فلسطين الآمنة والرحاب المقدسة فأحالوها جحيما لا يطاق، وجرحوا قلب الإسلام والعرب جرحا لا يندمل...ليست الخصومة بين كل عربي فلسطيني ويهودها، ولكن الخصومة بين الصهيونية والاستعمار الإنجليزي من جهة والإسلام والعرب من جهة، والضحية فلسطين والشهداء حماة القدس الشريف، والميدان رحاب المسجد الأقصى وكل مسلم مسئول أعظم مسؤولية عند الله على كل ما يجري هناك...إن لم يعمل لرفع الظلم الفظيع بما استطاع"(**خرفي،1977،ص39**)، وفي عام 1938م كتب مقالا في جريدة الشهاب بعنوان "فلسطين الشهيدة" قارن فيه بين مكانة القدس ومكة والمدينة عند المسلمين محاولا استنهاضهم للدفاع عنها، قائلا :" إن رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة، وقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء " الذي باركنا من حوله" ليعرفنا بفضل تلك الرحاب، فكل ما هو واقع كأنه واقع برحاب المسجد الحرام ومسجد طيبة...وكل مسلم مسئول عند الله تعالى على كل ما يجري في فلسطين... "(**فلوسي، 2006،ص39،40**)، ولما هب رجالات الإسلام في الشرق للقيام بهذا الواجب، أبرق برقية إلى رئيس المؤتمر البرلماني العام من أجل فلسطين الذي عقدته اللجنة البرلمانية المصرية للدفاع عن فلسطين بالقاهرة في 17 أكتوبر 1938م، أبدى فيها باسم المسلمين الجزائريين الموافقة على ما يستقر عليه الرأي والتأييد بكل ما يستطيعون في سبيل قضية فلسطين التي هي قضية الحق والإنسانية والسلم العام، وقد ورد نص البرقية في جريدة البصائر، ومما جاء فيها : "... باسم المسلمين الجزائريين نحيي في شخصكم مؤتمركم وتؤيدكم بكل ما تستطيع في سبيل قضية فلسطين التي هي قضية الحق والإنسانية والسلم العام..." (**البصائر،1938، ع135**).

وطوال السنوات القصيرة التي قضاها على رأس جمعية العلماء ظل ابن باديس يهيب بالجزائريين والعرب جميعا الجهاد في فلسطين ضد الانجليز والصهيونية العالمية، كما ظل يهاجم الاستعمار بكل أشكاله (**بوصفصاف،2009،ص55**)، ورغم ما كانت تتعرض له الجزائر من محن وتحديات، إلا إن ذلك لم يقف حائلا أما شعور الشيخ ابن باديس بواجبه تجاه قضايا أمته، فلا

غرو أنه أبدى طوال حياته استجابة فكرية وروحية غير عادية لكل ذي صلة بقضايا عالمه العربي والإسلامي، ولم تأخذه أبدا قضية بلاده وشعبه من أمته.

المطلب الثاني: موقف البشير الإبراهيمي

فقد كان أكثر العلماء وشخصياتهم الذين اهتموا لحال فلسطين وأهلها، قبل رئاسة الجمعية وبعدها، فقد أخذت قضية فلسطين حيزا كبيرا في مواقفه وبياناته، وفي كتاباته، حيث تناول القضية من مختلف جوانبها السياسية والدينية والتاريخية، وأبرز أهميتها ومكانتها لدى العرب والمسلمين، مؤكدا على ضرورة مواجهة المشروع الصّهيوني في فلسطين، فقد كتب لمرات كثيرة مواكبا تطورات القضية، مسجلا مواقف ثابتة منها محاولا استنهاض نفوس الجزائريين و المسلمين ، فقد كتب والقضية في بداياتها منبها إلى ضرورة اتحاد العرب لنصرة فلسطين لأنها لهم جميعا حيث قال : "... إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهمكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست تنال بالشعريات والخطابيات وإنما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة"(**الابراهيمي،1997،ص27**)، مؤكدا تعلقه وتفاعله مع القضية من خلال خطبة ألقاها الرئيس المصري "محمد نجيب" في إحدى الاجتماعات تعرض فيها لقضية فلسطين قائلا : "كانت كلمة القائد البطل عن فلسطين تمس نفسي – وهو يلقيها – مسة الكهرباء فتحرق ولا تضيء، لأنني كنت من أشد الناس اهتماما بالحادثة.... فإذا فاتني لشقوتي أن أشارك في وقائعها بجسمي، فلم يفتني أن أشارك فيها بقلمي..." (**دراجي،2009، ص13**)، وفي مقال آخر طالب المسلمين بإغاثة فلسطين المنكوبة صارخا في مقال له في جريدة البصائر : "إن إعانة فلسطين فريضة مؤكدة على كل عربي وعلى كل مسلم، فمن قام به أدى ما عليه من حق لعروبته ولإسلامه ومن لم يؤده فهو دين في ذمته لا يبرأ منه إلا بأدائه ومن سبق فله فضيلة السبق ومن تأخر شفعت له المعاذير القائمة حتى تزول فإذا زالت تعلق الطلب ووجب البدار"(**بكر راتب،2017**)، وقد كانت مقالات الشيخ الإبراهيمي الأكثر تأثيرا في نفوس المتبرعين لأنها أثارت فيهم أحاسيس الأخوة الدينية، فقد كان يختار المناسبات المختلفة خاصة الدينية منها لتذكير الجزائريين والعرب أيضا بمعاناة إخوانهم الفلسطينيين، فقد كتب في مناسبة تصادف عيد الأضحى يقول: "...أيها العرب...حرام أن تنعموا وإخوانكم بؤساء وحرام أن تطمئن بكم المضاجع، وإخوانكم يفترشون الغبراء" (**بوصفصاف، 2009،ص357**)، وكذلك سجل جل أعضاء

جمعية العلماء مواقفهم ومساهماتهم في دعم القضية بكل الوسائل خاصة المادية والمعنوية والسياسية.

المبحث الثاني: موقف صحافة الجمعية

أخذت قضية فلسطين حيزا كبيرا من اهتمام صحف العلماء، فقد نشرت عشرات المقالات عكس بعضها مواقف الجمعية من القضية وتطور أحداثها باعتبارها لسان حالها، وبعضها حملت مواقف شخصية لأعضاء الجمعية خاصة أن الجمعية تركت لأعضائها الحرية الكاملة للخوض في المسائل السياسية الوطنية والدولية بصفتهم الشخصية- لا بوصفهم أعضاء فيها – ما أفرز دور سياسي خاص بكل عضو، فقد كانت جل المقالات التي تنشر على صفحات تلك الجرائد والمجلات تثير نخوة الجزائريين والعرب والمسلمين في سبيل فلسطين وقضيتها، ولان المقام والمقال لا يسعها، فإننا سنركز على أبرزها فحسب.

المطلب الاول: موقف جريدة "صوت الشعب"

ناطقة بالفرنسية، تأسست سنة 1933م، وقد عكست في كثير من مقالاتها مواقف العلماء من تطورات القضية الفلسطينية في تلك الفترة، حيث كتبت في نوفمبر 1933م وفي مارس 1934م، تنتقد تصرفات الإمبريالية الانجليزية منذ 1917م في فلسطين، مبرزة "تعاطف")) يهود الجزائر مع الصهيونية العالمية رغم تمتعهم بالأمان والاستقرار في الجزائر (**p64,65 Chagnollaud, 1977,**) عبر الزمن، وفي مقال آخر في نهاية 1933م سجلت الجريدة نفس الموقف، وألقت بمسؤولية ما يحدث في فلسطين ليس فقط على الانجليز واليهود، ولكن أيضا على المجتمع الدولي وعصبة الأمم، مبرزة عجزهم على حفظ حقوق الضعفاء، ودعت إلى سحب كل المشاريع الهادفة إلى اغتصاب حقوق الفلسطينيين في بلدهم، ثم عادت في مقال آخر في مارس 1934م لترفض الحلول التي كان يخطط لها عبر تقسيم فلسطين، مؤكدة انه :"...لأجل الوصول إلى حل سلمي وعادل للمشكل الفلسطيني الدامي ليس في رأينا إلا إمكانية واحدة هي، سحب المشاريع الكارثية التي تستهدف التقسيم، ووقف كلي للهجرة اليهودية، وترك فلسطين لأهلها" (**Chagnollaud, 1977, p64,65**)

المطلب الثاني: موقف مجلة " الشهاب"

أصدرها الشيخ ابن باديس في مدينة قسنطينة عام 1925م، وقد شنت منذ نهاية العشرينات وطوال الثلاثينات من القرن الماضي وبلهجة شديدة، حملة على مواقف عصبة الأمم والانجليز مشيرة إلى تواطؤهم واتخاذهم مواقف متخاذلة إزاء العرب، مقابل اهتمامهم بإقامة الكيان الصهيوني في عمق الوطن العربي (**بوصفصاف،2009،ص،357، 358**)، وقد اعتبرت بعد حوادث حائط المبكى عام 1929 أن :"التظاهر بادعاء ملكية حائط المبكى، ما هو إلا خطوة أولى للاستيلاء على أرض فلسطين جميعها"(**ناصر،1978،ص407**)، وعندما اقترحت لجنة "بيل" البريطانية سنة1937م مشروعها لتقسيم فلسطين كحل لإنهاء المشكلة القائمة، تأججت مشاعر التضامن والتآخي في عموم الجزائر مع الشعب الفلسطيني، لأن فلسطين بالنسبة لهم جزء لا يتجزأ من أرض الإسلام والمسلمين، ولا يجب السكوت عما يخطط له، أو التغاضي عما يحاك ضدها، لذلك خرجت صحف العلماء مرة أخرى آنذاك بعناوين ساخطة، ومقالات لاذعة ضد الإمبريالية البريطانية وضد الصهيونية، محملة الدول الأوروبية، وعصبة الأمم ما يجري من تطورات على أرض فلسطين، ومنددة بأعمال العنف والاضطهاد الذي كانت تمارسه السلطات البريطانية في المنطقة(**بوصفصاف،1981،ص357**).

غير أن المقال الأكثر أهمية ذلك الذي نشرته الجريدة في أوت 1937م والذي حاولت فيه إثارة مشاعر المسلمين لإنقاذ فلسطين مما يتهددها في وحدتها وكيانها، منبهة إلى أن تلك القضية هي قضية عامة العرب والمسلمين ولكل فرد منهم مسؤوليته فيها قائلة: "إن نقطة الإحساس في العالم العربي اليوم إنما هي نقطة فلسطين، والخطر الداهم الذي يهدد العرب في كيانهم، وفي وحدتهم إنما هو خطر اليهود في هذه المنطقة العربية، فإن الواجب المحتم على كل عربي مسلم في أي قطر من أقطار الأرض هو أن يقف إلى جانب أخيه العربي الفلسطيني ينصره ويؤازره، ويضحي إلى جانبه بأغلى وأثمن التضحيات مهما كلفه ذلك فالمسألة ليست مسألة بلاد نائية وليست مسألة محلية لا تهم إلا أهل فلسطين وحدهم، إنما هي مسألة العالم العربي والإسلامي بأسره"(**بوصفصاف،1981،ص357**)، وفي سنة 1938م أشادت"الشهاب" ببطولة الشعب الفلسطيني، وأدانت موقف بريطانيا العنصري في فلسطين بعد أن ذكرت أن الانجليز قد استخدموا طائرات وأسلحة ثقيلة ضد شعب ضعيف لم يستخدموها خلال الحرب العالمية الأولى"، كما أدانت بشدة الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، ونعتت صدور الكتاب الأبيض الانجليزي بنكبة

فلسطين، كونه يتضمن برنامجا مدروسا لتثبيت عرب فلسطين، مقابل إقامة دولة يهودية(**بوصفصاف،1981،ص330 ،331**).

المطلب الثالث: موقف جريدة "البصائر"

صدرت في ديسمبر من عام 1935م بقسنطينة، وبقيت منتظمة الصدور ودون توقف حتى عام 1939م، فقد عدت أهم صحف الجمعية التي اهتمت بالقضية بعد رصدها لكل محطات وتطوراتها لنحو ربع قرن وذلك قبل اندلاع الثورة التحريرية، كما رصدت مواقف شيوخ الجمعية من أحداثها لنحو ثلاث عقود، فقد وجهت جريدة "البصائر" نداء إلى المسلمين من أجل الوقوف مع أهلها كواجب مقدس عندما كانت القضية على أعتاب تطورات أكبر ثورة عرفتها فلسطين سنة 1936م، مطالبة بلدان العالم الإسلامي التي لم تنشأ بها لجان الدعم المالي أن تبادر إلى إنشائها ومما جاء في النداء : "إن فلسطين بنزولها على إرادة أصحاب الجلالة ملوك العرب وتلبيتها ندائهم محل الاضطراب وإنهاء الإضراب قد انتقلت من جهاد إلى جهاد آخر أعظم منه، وأدى إلى تكاتف المسلمين في تأييدها وشد أزرها(**البصائر،1936،ع43**)، ومن أجل تحقيق هذا التضامن والدعم فتحت الجريدة صفحاتها لأقلام الفلسطينيين أنفسهم يتقدمهم الحاج أمين الحسيني مفتي القدس الشريف الذي رفع "نداء إلى كل كريم في العالم العربي الإسلامي" وجهه للعرب والمسلمين في مقال بعنوان "من فلسطين الدامية الشهيدة" قال فيه : "... تواجه فلسطين العربية أحداثا خطيرة أخذت تجر ورائها نكبات ومآسي على الشعب العربي الأبي الذي ضرب المثل الأعلى في التضحية عما وقعت في كل فلسطين من اعتداءات همجية أزهقت فيها أرواح عربية، وسقط فيها كثيرون من الشهداء والجرحى، كما رملت النساء ويتم الأطفال، فأصبحت المعونة المادية والمواساة واجب على كل عربي مسلم، الذي لا يكون إلا بالتعاون والتعاضد، لذلك قررت اللجنة المركزية للإعانات إعلان نداء التعاون لكل العالم الإسلامي لإخراج فلسطين من محنتها القاسية ومن نكبتها الكبرى..."(**البصائر،1936،ع24**)، وقد استمرت البصائر تنقل أخبار فلسطين وأحداثها طوال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، فقد أكدت بالأرقام حالة التشريد والضرر البالغ الذي ألحقه اليهود والانجليز بسكان فلسطين في تلك الفترة مؤكدة : "... إن القتلى العرب الذين استشهدوا بيد الانجليز اليهود يقارب 3 آلاف، ويتراوح عدد الجرحى بين 4 و5 ألاف، وبلغ عدد المنفيين والمعتقلين سياسيا 500 منهم 400 في "صرفند" وحدها، ويبلغ

عدد المساجين المتهمين 2500، وهذا غير الإتلاف والنسف والتدمير في المدن والقرى والمزارع، وأما عدد المنكوبين الذين يتناولون الخبز من جمعيات الإعانة بموجب وثائق رسمية فقد بلغ 200 ألف نسمة منهم 40 ألف منكوب في يافا ..." (**البصائر،1938،ع130**)، كما استمرت في نقل محاولات العرب البحث عن حل للقضية، فنقلت الاتصالات المرتبطة بعقد مؤتمر لندن عام 1938م، والاجتماع الذي عقدته بعض الدول العربية قبل ذلك في مصر بمشاركة مصر، والعراق، والسعودية، واليمن، وفلسطين، وشرق الأردن، ودعوة بريطانيا للعرب للمشاركة في المؤتمر بجانب الوفد اليهودي، وهو ما رفضه الوفد العربي الذي طالب بريطانيا بإلغاء قرار التقسيم المقترح، ووقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، مؤكدة أن إصدار بريطانيا رخص لهجرة نحو 4800 يهودي جديد إلى فلسطين آنذاك، لم تكن تمنح الأمل للوفد العربي في وساطتها، ولا في حل كانوا يؤملونه (**البصائر،1939،ع142**)، وكذلك وقفت جل جرائد الجمعية الأخرى، خاصة "الدفاع" و"الاصلاح" مواقف مؤيدة ومساندة للقضية الفلسطينية طوال مدة صدورها رغم وقوعها تحت طائلة قوانين الاحتلال.

الدعم السياسي والمالي للقضية

دعمت جمعية العلماء المسلمين الفلسطينيين وقضيتهم بكل ما أوتيت من قوة، وبما اتيح لها من امكانات وتأثير ونفوذ في داخل الجزائر وخارجها، وقد برز ذلك الدعم بصورة خاصة في المجالين السياسي والمالي.

المبحث الأول: الدعم السياسي

لم تكتف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمحاضرات والدروس المسجدية والكتابات الصحفية والأشعار لنصرة القضية الفلسطينية، فهي وإن عدت أعمالا لها آثارها العميقة في توعية الرأي العام في الجزائر وفي غيرها، إلا أن العلماء رأوا وجوب تجاوزتها إلى المساعدة السياسية، فقد كتب أعضائها محتجين ورافضين خطط التقسيم قبل وبعد الحرب منتقدين الصهيونية والقوى التي تقف خلفها، كما فعل ابن باديس الذي احتج باسم الجمعية بشدة على مشروع التقسيم حيث كتب يقول :"باسم الأمة الإسلامية الجزائرية ارفع احتجاجي الشديد ضد مشروع تقسيم فلسطين ذلك القطر العربي التي ضمنت له العهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله، واعتبر هذا المشروع ضربة قاضية على حياة شعب ضعيف دافع طيلة سنين دفاع الأبطال عن حريته

وشرعيته.."(**وزارة الشؤون الدينية،2005،ص536**)، كما أخذت تتصل بالمهتمين بالقضية وتراسلهم من أجل المساعدة في البحث عن حل عادل، فقد راسل ابن باديس في أوت1937م، وزارة الخارجية الفرنسية محتجا بشدة باسم الشعب الجزائري المسلم ضد مشروع تقسيم فلسطين، مطالبا الحكومة الفرنسية التدخل لمنع التقسيم.

كما انتقدت الجمعية سياسة بريطانيا الموالية للصهيونية بشدة من خلال مقالات كثيرة في مجلة "الشهاب" حيث نشرت مقالا سنة1937 م جاء فيها"... ان بريطانيا تتنازل أمام القوة الأوروبية، وتنكمش أمام القوة الايطالية، ولكنها تقف موقف الجبار أمام شعب ضعيف، تريد أن تسلم أرضه إلى يهود العالم وتشرده في الفيافي والقفار..."، وكتبت في مقال آخر مؤكدة رفض الجماهير العربية في المغرب العربي لخطط بريطانيا للتقسيم قائلة : "إن آخر اختراع أنتجته سياسة الانجليز هو تجزئة فلسطين إلى ثلاثة أقسام: قسم شرقي يضم إلى مملكة شرقي الأردن التي يتولى أمرها الملك عبد الله، وقسم غربي ويكون دولة يهودية، وقسم ثالث يبقى تحت الانتداب الانجليزي..."، وفي سنة 1938م أشادت ببطولة الشعب الفلسطيني، وأدانت موقف بريطانيا العنصري في فلسطين بعد أن ذكرت أن الانجليز قد استخدموا طائرات وأسلحة ثقيلة ضد شعب ضعيف لم يستخدموها من قبل، معتبرة صدور الكتاب الأبيض الانجليزي خلال الحرب العالمية الأولى بمثابة نكبة لفلسطين، كما أدانت بشدة الهجرة اليهودية لفلسطين معتبرة إياها برنامجا مدروسا لتثبيت عرب فلسطين مقابل إقامة دولة يهودية..." (**بوصفصاف،1981،ص228**)، وقد عكست جمعية العلماء بتلك المواقف إتباعها مبادئ وأفكار الشيخ شكيب أرسلان الذي كان يكره الفرنسيين والانجليز ويحقد عليهم (**أجيرون،2008،ص54**)، باعتبارهم قوي استعمار تضر بمصالح الشعوب العربية والإسلامية، وكذلك فعل باقي شيوخ الجمعية، خاصة الصحفي أبو اليقظان والشيخ سعيد الزاهري اللذان رأى في القضية جوانب سياسية وليس دينية فحسب، محملين بريطانيا والقوى المؤيدة لها مسؤولية سفك دماء الفلسطينيين.

المبحث الثاني: الدعم المالي

فضلا عن الدعم السياسي، قرر رجال جمعية العلماء دعم الفلسطينيين ماديا للتخفيف من معاناتهم اليومية، بعد أن بادر الشيخ ابن باديس وعدد من أعضاء الجمعية إلى إنشاء لجنة لجمع التبرعات لفائدة الفلسطينيين، رغم ضيق العيش الذي كان يحياه الجزائريون، فعقدوا لأجل

ذلك اجتماعا أول لبعض أعضاء الجمعية بنادي الاتحاد بقسنطينة في 18 جوان 1936م تحت رئاسة عبد الحميد بن باديس، ثم اجتماع ثاني في 20 جوان 1936م، نتج عنه إنشاء لجنة خاصة بفلسطين تحت رئاسة الطيب العقبي- أسندت كتابتها العامة إلى الأمين العمودي، وأمانة المال لمحمد بن الباي- باشرت عملها علنا عام 1938م، وبعد أن تم توزيع قوائم الاكتتاب سرا بين أعضاء الجمعية والمتطوعين تم توسيع مجال جمع أموال الإغاثة إلى كل المدن الجزائرية، كما أعطت الجمعية أوامرها للشيخ الفضيل الورتلاني ممثلها بمرسيليا لمباشرة نفس المسعى لدى المهاجرين(**أبو جزر،2004،ص179،178**)، كما كان أعضاء الجمعية يقومون بتوزيع المناشير التي ترد من مصر إلى الجزائر لتغذية الشعور الوحدوي العربي الإسلامي، ومنها منشور ورد في الثالث من شهر أوت عام 1938م، يدعوا إلى جمع الأموال لصالح المجاهدين العرب في فلسطين (**مناصرية،1988، ص295**).

لقد ساهمت حملات التعبئة التي كانت تقوم بها الجمعية وصحافتها، بشكل مباشر في دعم حملات التبرع التي كان يقوم بها الجزائريون رغم فقرهم، وقد تقدم أعضاء جمعية العلماء أنفسهم المتبرعين لا سيما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي اقترض يوما مالا فما كان يدخل جيبه حتى وهبه لسائل طلب منه الإعانة على السفر إلى فلسطين للجهاد (**الابراهيمي،1997 ص32**)، كما كان قد تبرع بمكتبته الخاصة لصالح فلسطين.

الخاتمة:

يتضح جليا مدى ارتباط رجال وشيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقضية الفلسطينية، ولا ريب أن الخلفية الفكرية والدينية لهؤلاء، كانت تقف بشكل حاسم وراء هذا الارتباط، ففلسطين هي أرض النبوات، وهي موطن الكثير من الرسل، وفيها ثالث مقدسات المسلمين، وهي قبلتهم الأولى، والمستهدف فيها هو الإسلام، فالقضية بالنسبة إليهم قضية مصيرية لكل العرب والمسلمين أينما وجدوا، والدفاع عنها يأخذ صفة الواجب الشرعي الذي يعاقب عليه كل متخلف ويجازى عليه كل متقدم، كما أنها ليست ببعيدة الشبه بقضيتهم في الجزائر، لذلك ظلت خطبهم وكتاباتهم وجل أنشطتهم تتجه إلى نقل أخبار القضية بتفاصيل أحداثها لنحو ربع قرن دون توقف.

ورغم وقوع الجزائر تحت طائلة الاحتلال وقوانينه الجائرة، إلا أن جمعية العلماء وشيوخها، قدموا الدعم والنصرة لفلسطين وأهلها بصورة غير منقطعة، فقد دعموها بكل الوسائل وفي كل الميادين، فدعموها روحيا ومعنويا، من خلال مواقفهم التي عكستها مقالات صحفهم على كثرتها، ودعموها سياسيا، ودبلوماسيا من خلال تواصلهم بمفتي القدس، والمهتمين بها لتوحيد جهودهم من أجلها، بل ومشاركتهم في المؤتمر الإسلامي بالقدس عام 1931م حتى قبل تأسيس الجمعية نفسها، ومن خلال احتجاجاتهم المتواصلة على الفاعلين فيها، كحكومات الدول الغربية، خاصة فرنسا وانجلترا، منددين بمواقفها من أحداثها، ومطالبين بوقف التحيز للصهيونية، والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني في أرضه، خاصة بعد صدور قرار التقسيم الذي اقترحته لجنة "بيل" البريطانية لأول مرة عام 1937م، كما دعموها ماديا رغم شظف العيش الذي كان يحياه الجزائريون تحت الاستعمار، من خلال جمع الأموال، وهو ما كان محل رسائل شكر، وتقدير من مفتي القدس نفسه الحاج محمد أمين الحسيني، أما الدعم الأكبر فقد كان عسكريا (الجهاد) من خلال دعوة أعضاء الجمعية وصحفها، الجزائريين وكل العرب والمسلمين، إلى الجهاد بالأنفس نصرة لأبناء فلسطين، وهو ما انعكس على حجم مشاركة الجزائريين في أغلب أحداث فلسطين، بدءا بحوادث البراق عام 1929م، وثورة عز الدين القسام عام 1935م، والثورة الفلسطينية الكبرى بين 1936–1939م، وفي حرب النكبة فيما بعد عام 1948م، رغم الموانع، ووقوف فرنسا وبريطانيا ضد ارادتهم.

قائمة المراجع:

المؤلفات

– الزبير بن رحال،(2009)، الإمام عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة العلمية والفكرية (1889– 1940)، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

– محمد لحسن فضلاء،(2010)، الشذرات من مواقف الامام عبد الحميد بن باديس، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

– محمد الطاهر فضلاء،(1981)، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، الجزائر، دار البعث، قسنطينة

– فهمي توفيق محمد مقبل،(2012)، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث (1889 – 1940م / 1307 –1359هـ)، (د .ب) ، (د. ن).

– محمد قنانش،(د.ت)، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

– عبد القادر فضيل،(2010)، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.
– محمد العربي الزبيري،(1999)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
– رابح تركي،(2008)، الشيخ عبد الحميد بن باديس "رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر"، الجزائر، منشورات ANEP.
– محمد حاج حفصي،(2010)، من ذكريات الكفاح، مذكرات مجاهد، الجزائر، فيسيرا للنشر.
– صالح خرفي،(1977)، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
– مسعود فلوسي،(2006)، الإمام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب فكره وجهاده،ط1 ، الجزائر، دار قرطبة للنشر والتوزيع.
– أحمد طالب الإبراهيمي،(1997)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1940–1952، ط1،ج2، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
محمد دراجي،(2009)، مواقف الإمام الإبراهيمي من المشرق العربي، الجزائر، عالم الأفكار للنشر والتوزيع.
– محمد ناصر،(1978)، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903 إلى 1931، مج1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
– عبد الكريم بوصفصاف،(2009)، الفكر العربي الحديث والمعاصر،" محمد عبده وعبد الحميد بن باديس" نموذجا، ط1، ج3 ، الجزائر، دار مداد يونيفارسيتي براس.
– عبد الكريم بوصفصاف،(1981)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931–1945،ط1، الجزائر، الشركة الوطنية للطباعة والنشر.
– وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،(2005)، عبد الحميد بن باديس آثاره، ج5، الجزائر، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
– شارل روبير أجيرون،(2008)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 م إلى اندلاع حرب التحرير1954م، مج2، تر : جمال فاطمي وآخرون، الجزائر، دار الأمة للطباعة والنشر .
– أحمد شفيق أحمد أبو جزر،(2004)، العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي "مواقف و أسرار" الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

المجلات :

– مولود عويمر، (2001)،"المصلح الثائر الإمام عبد الحميد بن باديس 1889–1940"، مجلة المجتمع، عدد جوان .
– أحمد صاري(2000)،"شكيب أرسلان والحركة الوطنية"، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، عدد جوان.

الجرائد:

- البصائر (العدد1، ديسمبر 1935م) .
- البصائر(عدد 135، 1937 – 1938م).
- البصائر (عدد 43، 13 نوفمبر 1936) .
- البصائر (عدد 24، جوان 1936).
- البصائر (عدد 130، سبتمبر 1938م).
- البصائر (عدد 142، ديسمبر 1939م) .

المواقع الالكترونية:

- عبد المالك حداد،(2016)، قضية فلسطين جوهر اهتمام أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين/ متاح على الرابط الالكتروني https://binbadis.net/archives/ ، روجع بتاريخ 12 ماي 2020 .
- بكر راتب أحمد الحسيني،(2017)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "برؤية مقدسية / متاح على الموقع الالكتروني / https://elbassair.org ، روجع بتاريخ 17 ماي 2020.

المراجع الاجنبية:

- Jean Paul Chagnollaud ,(1977), Maghreb et Palestine, Paris, France, Edition Sind-bad.